Scanned with CamScanner

رسالة بولس الرسول
إلى فليمون

Scanned with CamScanner

مقدمة

الرسالة الفريدة

تتميز هذه الرسالة القصيرة إلى فليمون بشيء فريد بين رسائل بولس الأخرى . فهى الرسالة الخاصة الوحيدة لبولس التى لدينا . ولا شك أن بولس كتب رسائل خاصة كثيرة ، ولا شك أيضاً أن هذه الرسائل قد لاقت مصير جميع الرسائل الخاصة الأخرى ، لا شك أنها جميعاً قد ضاعت ولم يبق منها غير الرسالة إلى فليمون فقط . وإلى جانب ما يتخلل الرسالة من جمال وجاذبية فيكفى أنها رسالة بولس الوحيدة الخاصة التى بأيدينا وهذا يعطى لهذه الرسالة أهمية فريدة .

أنسيموس ، العبد الهارب

يمكن إعادة بناء قصة أنسيموس بطريقتين محتملتين . الطريقة الأولى ، وتمثل وجهة النظر العادية ، تتبع التحليل المباشر ؛ والطريقة الثانية أقترحها E.J.Goad speed وهى أكثر تعقيداً وتتميز بما فيها من عاطفة ودراما . لنبدأ أولا بوجهة النظر البسيطة :

كان أنسيموس عبداً هارباً ، وغالباً سارق أيضاً . « إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فاحسب ذلك على » (١٨ ، ١٩) . وجد الهارب أنسيموس طريقه إلى روما ، ليفقد نفسه بين أفواج الجماهير التى تموج بها شوارع المدينة الكبيرة ؛ وبطريقة ما توصل إلى بولس ، وصار أنسيموس مسيحياً ، الابن الذى ولده بولس فى قيوده (آية ١٠) .

Scanned with CamScanner

ثم حدث شيء . لقد كان واضحاً أنه من المستحيل على بولس أن يظل محتفظاً بعبد هارب ، ولا بد أنه حدث شيء أثار الموضوع كله. ربما ما حدث هو قدوم أبفراس ، وتعرفه على أنسيموس العبد الذى رآه فى كولوسى ، وهكذا طفت القصة كلها إلى السطح ؛ وربما كان مع قدوم أبفراس ، ويقظة ضمير أنسيموس أن دفعته ليقدم اعترافاً كاملا بكل ماضيه الشائن .

بولس يرد أنسيموس

أثناء الفترة التى أمضاها أنسيموس مع بولس أصبح نافعاً له بدرجة أن أصبح لا غنى لبولس عنه ؛ وكان بولس يود أن يحتفظ به . « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى » (عدد ١٢) . ولكن بولس لا يفعل شيئاً بدون موافقة فليمون سيد أنسيموس (عدد ١٣) . لهذا يرد بولس أنسيموس . وهو يعلم جيداً المخاطرة التى يأخذها . فلم يكن العبد فى اعتبار القانون إلا آلة حية ، والسيد له حق الحياة والموت على عبيده . « يستطيع أن يفرك آذانهم ، أو يحكم عليهم بالعمل الشاق — فمثلا يجعلهم يعملون وهم مقيدون بالسلاسل فى أرضه ، أو فيما يشبه مصنع ملحق بالسجن . وربما عاقبهم بالضرب بقضيب من حديد ، أو بالكرباج أو بالعقدة ؛ يستطيع أن يدمغهم على جباههم ، لو كانوا لصوصاً أو هاربين ، وفى النهاية يستطيع أن يصلحهم إن لم ينصلح حالهم » .

ويقص علينا بلنى كيف عامل ڤيديوس أحد عبيده . كان العبد يحمل صينية عليها كئوس من الكريستال إلى ساحة المحكمة ، فسقط منه كأس وانكسر ؛ وعلى الفور أمر السيد بالقاء العبد فى بركة السمك وسط الساحة ، حيث فتكت به الأسماك المتوحشة ومزقته تمزيقاً . ويرسم لنا جوفينال صورة السيدة التى تتلذذ بضرب خادمتها ، والسيد الذى « يتمتع بصوت الضرب

Scanned with CamScanner

القاسى ، معتبراً أنه أعذب من الأغنية » والذى لا يسعد إلا بمرأى المعذب بدمغ أحد عبيده بقضيب محمى من الحديد لأنه سرق اثنين من مناشفه ، أو بسماع صليل القيود الحديدية التى تحيط بأطراف عبيده . كان العبد دائماً تحت رحمة مزاج السيد أو السيدة :

وما جعل الأمر أكثر سوءاً هو أن كان هناك إصرار على إبقاء العبيد فى أحط حال . كان هناك حوالى ٦٠ مليون عبداً بالامبراطورية الرومانية . وهم بذلك يكونون خطراً ماثلا دائماً . ولا شك أنه كان بالإمكان تحطيمهم تماماً ، ولكن لو حدث أن قاموا بثورة . لسببوا اضطراباً خطيراً . لهذا كان العبد الثائر يستأصل بسرعة . وإذا هرب عبد ، فأقل عقاب له هو دمغه بقضيب محمى على جبهته بالحرف « ه » لتعنى « هارب » — وأشد عقاب له هو صلبه وتركه يموت ميتة بشعة . وكان بولس يعلم ذلك جيداً ، وكان يعلم أيضاً أن الرق والعبودية كانت متأصلة فى العالم القديم إلى درجة أنه كانت خطورة كبيرة حتى فى إرجاع أنسيموس إلى فليمون المسيحى :

بولس يرجو

أعطى بولس هذا الخطاب لأنسيموس ، ويتلاعب بولس لفظياً بالاسم : فالمعنى الحرفى لأنسيموس فى اليونانية هو مفيد . كان أنسيموس قبلا غير نافع ولكنه الآن نافع (آية ١١) . وبمعنى آخر لم يعد أنسيموس بالاسم فقط بل بالفعل أيضاً . ربما فقده فليمون لفترة ليسترده إلى الأبد (آية ١٥). يسترده كأخ فى الرب لا كعبد (آية ١٦) . فهو الآن ابن لبولس فى الإيمان، وواجب فليمون أن يستقبله كما يستقبل بولس نفسه .

تحرير

كان هذا ، إذاً ، رجاء بولس . ويتعجب كثير من الناس إزاء إغفال

Scanned with CamScanner

بولس قول أى شيء بخصوص موضوع الرقيق بأكمله . فهو لا يدينها ؛ ولا يطلب من فليمون حتى أن يحرر أنسيموس ، بل يعيده إليه كعبد . وهناك البعض ممن انتقدوا بولس أنه لم ينتهز هذه الفرصة ليدين العبودية فى جملتها والتى عليها تأسس العالم القديم . ويقول Light foot ، « إن كلمة تحرير تبدو أنها ترتعش على شفتيه ، ولكنه لا يتفوه بها قط » . ولكن هناك أسباب معينة لصمت بولس إزاء هذه المشكلة .

كانت العبودية جزءاً لا يتجزأ من العالم القديم ، وتأسس عليها المجتمع وكان أرسطو يعتنق مبدأ الطبقات ، ففى رأيه أن طبيعة الأمور تتطلب وجود بعض العبيد ، وبعض النجارين ، وبعض السقائين لخدمة الطبقات الأعلى من الناس . وربما قبل بولس نظام العبودية ، لأنه كان من قبيل المستحيل تخيل المجتمع القديم بدونه . بالإضافة إلى ذلك ، لو كانت المسيحية قد أظهرت فعلا أى نوع من التشجيع للعبيد لكى يثوروا أو يتركوا سادتهم ، لما كانت النتيجة إلا مأساة ومصيبة على نطاق الدولة . فأى ثورة من هذا النوع كان مصيرها المحتوم السحق بوحشية ؛ وأى عبد يحرر نفسه مآله عقاب صارم لا رحمة فيه ، أما المسيحية نفسها فمصيرها أن تدمغ بأنها حركة ثورية عدائية خائنة . . ولكن إذا سيطر الإيمان المسيحى ، فان التحرير أمر لا بد أن يحدث ولكن الوقت لم يكن مناسباً لحدوثه . ولو قامت المسيحية بتشجيع العبيد وإثارة هذا الرجاء فيهم ، بل والعمل على تحقيقه لكان الضرر الناتج أكثر بكثير جداً من الفائدة المرجوة . هناك أمور لا يمكن تحقيقها فجأة ، بل لا بد للعالم أن ينتظر حتى يختمر الخمير .

العلاقة الجديدة

ما فعلته المسيحية هى أنها أوجدت علاقة جديدة بين الإنسان . والإنسان ،

Scanned with CamScanner

علاقة اختفت منها كل الفروق الخارجية لأن المسيحيون جميعاً واحد فى المسيح . جسد واحد سواء كانوا من اليهود أو من الأمم ، من العبيد أو من الأحرار (١ كورنثوس ١٢ : ١٣) . « ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣ : ٢٨) — فى المسيح لا يوجد يونانى أو يهودى ، ختان أو غرلة أو سكيثى عبد أو حر (كولوسى ٣ : ١١) . هرب أنسيموس كعبد ، ويعود أيضاً كعبد ، ولكنه ليس عبداً فقط الآن ، بل هو أخ محبوب فى الرب . عندما تدخل فى الحياة علاقة كهذه ، تفقد الفوارق الطبقية الاجتماعية مالها من أهمية . حتى الأسماء نفسها ، هذا سيد وذاك عبد تصير بلا معنى . لو عامل السيد العبد كما لو عامله المسيح ، وإذا خدم العبد سيده كما يخدم المسيح ، فان تسمية الواحد بسيد والآخر بعبد لا تعد بذات قيمة ؛ لأن علاقتهما لا تخضع لأى تنظيم بشرى ، لأن كليهما فى المسيح . لم تهاجم المسيحية العبودية فى بداية الأمر ؛ ولم تحث أبداً على تحرير العبيد . . ولو أنها فعلت ذلك ، لكان ذلك أدعى إلى إساءة الأمور بدون فائدة ، بل لكان سبباً فى إحداث مصيبة كبرى . ولكن المسيحية أدخلت علاقة جديدة اختفت منها الفوارق الطبقية التى ابتدعها الإنسان .

وعلينا أن نلاحظ أن هذه العلاقة الجديدة لم تعط أبداً للعبد حق الكسل والخمول ؛ ولم تسمح له بأن يستغل هذه العلاقة الجديدة لمصلحته ؛ ولكنها جعلته عبداً أفضل ، وخادماً أكثر كفاءة ، لأنه الآن عليه أن يؤدى واجبه بصورة جديرة بتقديمه للمسيح . كذلك لم تعن هذه العلاقة الجديدة أن يصير السيد ليناً متساهلا ، مستعداً لتقبل صناعة رديئة وخدمة أقل جودة ، ولكنها كانت تعنى أنه لم يعد من حقه أن يعامل أى خادم لديه كشىء يمتلكه ، بل كشخص له كيانه ، وأخ فى المسيح .

Scanned with CamScanner

هناك فقرتان يوضح فيهما بولس واجبات السادة والعبيد — فى أفسس ٦ : ٥ — ٩ ، وفى كولوسى ٣ : ٢٢ — ٤ : ١ كتبت هاتان الفقرتان عندما كان بولس سجيناً فى روما ، وغالباً عندما كان أنسيموس معه ؛ ومن الصعب تصور عدم وجود ارتباط بينهما وبين الأحاديث الطويلة التى تبادلها بولس مع العبد الهارب الذى صار مسيحياً .

فى هذا الرأى تصبح الرسالة إلى فليمون رسالة خاصة ، مرسلة من بولس إلى فليمون عندما أعاد إليه عبده الهارب أنسيموس ؛ وقد كتبت الرسالة لتحث فليمون أن يقبل أنسيموس ثانياً ، ليس كما يفعل السيد الوثنى ، بل كما يقبل المسيحى أخاً تائباً ، ويعفو عنه .

أرخبس

لنعود الآن لفحص الرأى الثانى فى موضوع هذه الرسالة .

نبدأ دراسة هذا الرأى بفحص ما كان لأرخبس من مركز . يظهر أرخبس فى كلا رسالتى كولوسى وفليمون . ترسل التحية فى فليمون إلى أرخبس ، **المتجند معنا** (آية ٢) ؛ ويمكن أن يعنى هذا الوصف أن أرخبس كان راعى المجتمع المسيحى المقصود . ويذكر أرخبس مرة أخرى فى كولوسى ٤ : ١٧ « وقولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التى قبلتها فى الرب لكى تتممها » . تأتى هذه العبارة بعد مجموعة من الإشارات الواضحة المحددة إلى كنيسة لاودكيا (كولوسى ٤ : ١٣ ، ١٥ ، ١٦) هذا يدفع إلى احتمال وجود أرخبس فى لاوديكيه أيضاً . فمن المؤكد أنه ظهر فى الرسائل التى أرسلت إلى لاودكيا . لماذا إذاً يطلب بولس توصيل هذه الرسالة الشفهية إليه؟ إذا كان أرخبس موجوداً فى كولوسى ، فانه كان سيستمع إلى رسالة كولوسى عندما تقرأ أمام المجتمعين كلهم . لماذا إذاً أرسل هذا الأمر الشفهى

Scanned with CamScanner

الخاص إليه ؟ من المحتمل جداً أن الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل أن أرخبس لم يكن موجوداً أصلا فى كولوسى بل فى لاودكيا .

لو كان الأمر كذلك ، لكان بيت فليمون أيضاً فى لاودكيا ، ولكان هذا معناه أن أنسيموس كان عبداً لاودكياً هارباً . ولكان هذا أيضاً معناه أن الرسالة إلى فليمون كانت ، فى الحقيقة ، محررة إلى لاودكية . ولو كان هذا ما حدث ، لكان الخطاب المفقود إلى كنيسة لاودكية ، والذى جاء ذكره فى كولوسى ٤ : ١٦ هو نفسه الرسالة إلى فليمون . وفى الحقيقة يحل هذا كثيراً من المشكلات .

لنذكر أنه فى المجتمع القديم ، بمفهومه الخاص عن العبودية ومعاملة العبيد ، كانت خطوة بولس فى إرسال العبد الهارب بالغة الخطورة . وعلى هذا يمكن اعتبار أن « فليمون » لم تكن رسالة خاصة على الإطلاق . فهى مرسلة إلى فليمون والى الكنيسة التى فى بيته . وأن المطلوب أيضاً قراءتها فى كولوسى . ماذا كان يفعل بولس إذاً ؟ كان يعبئ الرأى فى كنيستى لاوديكية وكولوسى فى صفه لعلمه بخطورة الخطوة فى إرسال عبد هارب . لم يترك أمر قبول العبد الهارب إلى ميول فليمون الشخصية ؛ بل جعله أمراً عاماً يشترك فيه جميع الأخوة ، ويتحد فيه الرأى المسيحى لإنجاز عمل مسيحى . وبعبارة أخرى ، لم يترك أمر أنسيموس لفليمون وحده ، بل كان لابد أن يكون قراراً عاماً من المجتمع المسيحى كله . وما يعضد هذا الرأى وجود نقطة لغوية واحدة . ولكنها هامة . فى آية ١٢ يكتب بولس أنه رد أو أرسل ثانياً أنسيموس إلى فليمون . والفعل هو In a pempein ؛ وهذا هو الفعل المعتاد استعماله ليعنى إحالة موضوع على واحد للبت فيه . وعلى ذلك تكون ترجمة الآية ١٢ كما يلى : « إنى أحيل هذا الموضوع إليكم » بما يفيد أن بولس لا يعنى فقط فليمون ، ولكن أيضاً الكنيسة التى فى بيته .

Scanned with CamScanner

هناك كثير يمكن قوله فى تعضيد هذا الرأى . ولكن هناك مشكلة واحد ٤ : ٩ بخصوصه . فى كولوسى ٤ : ٩ يشار إلى أنسيموس **كواحد منكم** ، وهذا بالتأكيد يشير إلى أنه من كولوسى . ولكن Goodspeed الذى أثار هذا الرأى بعمق بحثه وقوة إقناعه ، يرد على ذلك بقوله أن هيرا بوليس ، ولاوديكيه ، وكولوسى كانت قريبة جداً من بعضها البعض ، لدرجة اعتبار كنائسها كنيسة واحدة ، ومجتمعاً واحداً ، وأنه بذلك تكون عبارة **واحد** منكم لا تعنى بالذات كولوسى ، ولكن هذا المجتمع الواحد المتقارب . لو كنا على استعداد لتقبل هذا ، زالت العقبة الأخيرة ضد هذه النظرية .

متابعة القصة :

ولا يتوقف Goodspeed عند هذا . بل يستمر فى بناء قصة أنسيموس فى صورة مؤثرة .

يكتب بولس فى عددى ١٣ ، ١٤ بصورة تامة الوضوح أنه كان يود كثيراً أن يبقى أنسيموس لديه ، « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى لكى يخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل . ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكى لا يكون خيرك على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار » . وهو يذكر فليمون بأنه مديون له بنفسه (آية ١٩) . ثم يضيف بذكاء جذاب ، « ليكن لى فرح بك فى الرب » (بمعنى اسمح لى أن اكتسب شيئاً مسيحياً منك) . ثم يذكر ، « إذ أنا واثق باطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما تقول » . هل كان ممكناً أن يرفض فليمون هذا الرجاء ؟ أمام عبارات كهذه هل كان يملك شيئاً غير أن يعيد أنسيموس إلى بولس ومعه تحياته ؟ لهذا يعتبر Goodspeed أن أنسيموس قد عاد بالتأكيد إلى بولس ، وأصبح له مساعد فى عمل الإنجيل .

Scanned with CamScanner

اسقف افسس :

لننتقل الآن خمسين عاماً تقريباً عندما يؤخذ إغناطيوس ، أحد أعاظم شهداء المسيحية ، من كنيسة فى أنطاكية ليعدم فى روما . وأثناء ذهابه ، يكتب رسائل ، لازالت باقية ، إلى كنائس آسيا الصغرى . توقف فى سميرنا ليكتب إلى كنيسة أفسس ، وفى الفصل الأول من هذا الخطاب تكلم كثيراً عن أسقف أفسس العجيب . وماذا كان اسم هذا الأسقف ؟ أنه **أنسيموس** ، ويستعمل أغناطيوس نفس التلاعب اللفظى الذى استعمله بولس — هو أنسيموس اسماً ، وهوأنسيموس فعلا ، المفيد فى المسيح . وربما كان ما حدث فعلا أن أنسيموس العبد الهارب قد وصل بعد هذه السنين إلى أن يصير أسقف أفسس العظيم .

ماذا فعل المسيح لى :

وإذا كان كل ذلك قد حدث ، فانه لازال هناك تعليل باق . لماذا بقيت هذه الرسالة الصغيرة التى لا تخرج عن صفحة صغيرة واحدة من ورق البردى ؟ كيف وصلت هذه الرسالة النصف شخصية والنصف رسمية إلى مجموعة رسائل بولس ؟ فهى لا تبحث فى مبدأ عظيم ، ولا تهاجم هرطقة خطيرة ، بل هى الرسالة الوحيدة بين رسائل بولس المؤكدة التى كتبت لفرد معين .

ومما لا شك فيه أن أول محاولة عملية لجمع رسائل بولس تمت فى أفسس . ربما حدث ذلك حوالى نهاية القرن الأول — ثم نسخت وطبعت . وحول هذا الوقت بالضبط كان أنسيموس أسقفاً لأفسس . وربما كان أنسيموس بالذات هوالذى أصر على ضم هذه الرسالة إلى المجموعة ، رغم قصر وصغر وخصوصية الرسالة . وذلك لكى يرى جميع الناس ماذا فعلت له نعمة الله . ففيها يقول

Scanned with CamScanner

الأسقف العظيم للعالم كله إنه فى يوم ما كان عبداً هارباً ولصاً ، وأنه يدين بحياته لبولس وليسوع المسيح . وفيها يصر الأسقف الكبير أن يعيد على الأسماع قصة عاره الشخصى لكى ينطق هذا العار بالذات عن مجد الله .

هل رجع أنسيموس إلى بولس ومعه تمنيات ودعوات فليمون ؟ هل صار أسقف أفسس العظيم ، وهو السارق الهارب من العبودية ؟ هل أصر على ضم هذه الرسالة الصغيرة إلى مجموعة بولس لكى يخبرنا ماذا فعل له المسيح خلال بولس ؟ لن نعرف أبداً الحقيقة ، ولكن إذا كان هذا ما حدث نجد هنا قصة عاطفية بالغة للنعمة فى الكنيسة الأولى . لن نتأكد أبداً من الحقيقة ، ولكنها قصة جميلة نتمنى أن تكون صادقة .

Scanned with CamScanner

رجل يسهل إسترجاؤه

١ بُولُسُ أَسِيرُ يَسوعَ ٱلْمَسِيحِ وَتِيمُوثَاوُسُ ٱلْأَخُ
إِلَى فِلِيمُونَ ٱلْمَحْبُوبِ وَٱلْعَامِلِ مَعَنَا ٢ وَإِلَى أَبْفِيَةَ ٱلْمَحْبُوبَةِ
وَأَرْخِبُّسَ ٱلْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا وَإِلَى ٱلْكَنِيسَةِ ٱلَّتِي فِي بَيْتِكَ
٢ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ ٱللهِ أَبِينَا وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ .
٤ أَشْكُرُ إِلٰهِي كُلَّ حِينٍ ذَاكِراً إِيَّاكَ فِي صَلَوَاتِي
٥ سَامِعاً بِمَحَبَّتِكَ وَٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِي لَكَ نَحْوَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ
وَلِجَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ ٦ لِكَيْ تَكُونَ شَرِكَةُ إِيمَانِكَ فَعَّالَةً
فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ ٱلصَّلَاحِ ٱلَّذِي فِيكُمْ لِأَجْلِ ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ . ٧ لِأَنَّ لَنَا فَرَحاً كَثِيراً وَتَعْزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ
لِأَنَّ أَحْشَاءَ ٱلْقِدِّيسِينَ قَدِ ٱسْتَرَاحَتْ بِكَ أَيُّهَا ٱلْأَخُ .

فليمون ١ – ٧

الرسالة إلى فليمون رسالة غير عادية لأننا نرى فيها صورة غير عادية – بولس يطلب معروفاً – فليس هناك شخص مثل بولس فى قلة طلبه للمعروف ، ولكنه فى هذا الخطاب بالذات يخرج عن عادته ويطلب معروفاً لانفسه ولكن لأنسيموس ، الذى سلك الطريق المعوج ويحاول بولس مساعدته للعودة إلى الصواب .

Scanned with CamScanner

وحتى بداية الرسالة غريبة . فبدلا من أن يدعو بولس نفسه رسول يسوع المسيح كعادته دائماً ، يسقط هذا اللقب الرسمى من الخطاب لأنه مرسل من صديق إلى صديقه . ويكتب لا كبولس الرسول بل كبولس أسير يسوع المسيح . وهكذا منذ البداية يلقى بولس جانباً كل ارتباط بالسلطان ، ويبنى رجاءه على المشاركة المسيحية والمحبة فقط .

ونحن لا نعرف من هما أبفية وارخبس ، ويقال إنهما زوجة وابن فليمون لأنهما أيضاً لهما مصلحة هامة فى عودة أنسيموس العبد الهارب . ومن المؤكد أن أرخبس قد حضر خدمات مسيحية مع بولس ، لأن بولس يشير إليه كأحد المتجندين معه .

والواضح أن فليمون كان رجلا يمكن التفاهم معه وطلب معروف منه إذ كان إيمانه فى المسيح ومحبته للأخوة معروفاً للجميع واشتهر ذلك عنه حتى وصل روما حيث كان بولس سجيناً . ولا بد أن بيته كان مثل واحة فى الصحراء ، لأنه كما وصفه بولس ، كان ينعش قلوب شعب الله . ما أجمل أن تذهب ذكرى الإنسان فى التاريخ أنه هو الرجل الذى ارتاح فى بيته شعب الله ووجدوا لديه مسرتهم .

فى هذه الفقرة توجد آية من الصعب ترجمتها وكتب عنها الكثير . هذه هى صلاة بولس لفليمون فى آية ٦ . الجزء الأخير من الصلاة تضرع كى ينمو فليمون فى معرفة كل الأمور الصالحة التى تقود إلى المسيح . والجزء الأول « شركة إيمانك » إما أن يعنى .

(أ) دعاء أن الإيمان الذى يشترك فيه فليمون وبولس معاً يقود فليمون إلى أعماق الحق المسيحى .

Scanned with CamScanner

(ب) أو دعاء أن هذه الشركة المسيحية تقود فليمون إلى أعماق الحق .

(حـ) أن كلمة شركة تعنى مشاركة أو شفقة مسيحية وعطاء مسيحى وكرم مسيحى فى المشاركة . وفى هذا المعنى تكون الآية « إنى أصلى أن يقودك كرملك فى المشاركة وجودك فى العطاء إلى أعماق المعرفة فى انتقاء الصالح الذى يقود إلى المسيح » .

ونحن نعتقد أن المعنى الأخير هو المقصود . فمن الواضح أن الكرم والشفقة المسيحية كانت بعض صفات فليمون . فقد حفظ قلبه على محبة شعب الله وقدم لهم فى بيته راحة ومسرة . والآن يطلب بولس من هذا الرجل الكريم أن يكون أكثر كرماً . وإذا كان هذا التفسير صحيحاً نجد هنا فكرة عظيمة . هذه الفكرة هى أنه باعطائنا للآخرين نعرف أكثر عن المسيح . أى أنه إذا شاركنا الآخرين أعطانا المسيح . أو بمعنى آخر إذا أفرغنا أنفسنا نمتلىء بالمسيح . إذا أفقرنا أنفسنا فى العطاء ، زدنا غنى بعطايا المسيح . وأن الشخص الكريم هو أقرب الناس لاختيار غنى المسيح . وأكثر الناس معرفة للمسيح ليس هو الباحث المثقف ، ولا حتى القديس الذى يبتعد عن الناس ويمضى أيامه ولياليه فى الصلاة ، ولكنه هو الشخص الذى يكرم فى محبة كل من حوله من الناس .

Scanned with CamScanner

من أجل المحبة

٨ لِذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ لِي بِٱلْمَسِيحِ ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ أَنْ آمُرَكَ
بِمَا يَلِيقُ ٩ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَحَبَّةِ أَطْلُبُ بِٱلْحَرِيِّ إِذْ أَنَا
إِنْسَانٌ هٰكَذَا نَظِيرُ بُولُسَ ٱلشَّيْخِ وَٱلْآنَ أَسِيرُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ
أَيْضاً ١٠ أَطْلُبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ٱبْنِي أُنِسِيمُسَ ٱلَّذِي وَلَدْتُهُ
فِي قُيُودِي ١١ ٱلَّذِي كَانَ قَبْلاً غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ وَلٰكِنَّهُ
ٱلْآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي ١٢ ٱلَّذِي رَدَدْتُهُ . فَٱقْبَلْهُ ٱلَّذِي هُوَ
أَحْشَائِي . ١٣ ٱلَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ أُمْسِكَهُ عِنْدِي لِكَيْ
يَخْدُمَنِي عِوَضاً عَنْكَ فِي قُيُودِ ٱلْإِنْجِيلِ ١٤ وَلٰكِنْ بِدُونِ
رَأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً لِكَيْ لاَ يَكُونَ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ
عَلَى سَبِيلِ ٱلِٱضْطِرَارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ ٱلِٱخْتِيَارِ . ١٥ لِأَنَّهُ
رُبَّمَا لِأَجْلِ هٰذَا ٱفْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى
ٱلْأَبَدِ ١٦ لاَ كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ أَخاً
مَحْبُوباً وَلاَ سِيَّمَا إِلَيَّ فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي ٱلْجَسَدِ
وَٱلرَّبِّ جَمِيعاً . ١٧ فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكاً فَٱقْبَلْهُ
نَظِيرِي .

فليمون ٨ – ١٧

Scanned with CamScanner

كان لبولس ، وهو ما هو ، الحق فى طلب ما يرغبه من فليمون ، ولكنه هنا يرجو فى تواضع . لكى تكون العطية عطية يجب أن تعطى بفرح وبحرية كاملة ؛ أما العطية التى تفرض على الشخص فهى ليست بعطية .

فى آية ٩ يصف بولس نفسه بأنه الشيخ وأنه أسير يسوع المسيح . هناك كثير من الباحثين ينكرون على بولس وصف نفسه بأنه شيخ مسن . لأنه لم يكن بالتأكيد قد بلغ سن الستين ؛ ربما بين الـ ٥٥ ، الـ ٦٠ ولكن بولس محق ، ومن يعترضون من المفسرين على استعمال كلمة شيخ مخطئون . فالكلمة التى استخدمها بولس تناسب السن ما بين ٤٩ ، ٥٦ فى رأى هيوقراطس. فى هذا العمر يمكن أن يطلق على شخص لقب كهل Senior ، وبعد هذا يطلق عليه geron أى عجوز أو شيخ . ويرى هؤلاء الباحثون أن الوصف المقصود هو الكلمة presbeutes وتعنى سفير ، وقد استعمل بولس الفعل من هذه الكلمة فى أفسس ٦ : ٢٠ عندما قال ، « الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل » . ولكن المعنى الأكثر احتمالا هو كبير السن ، لأن بولس ، فى هذا الخطاب ، يترجى لا بسبب المركز الذى يشغله ، أو السلطة التى يتمتع بها ، بل المحبة فقط . فهو لا يتكلم بصفته السفير ، بل بصفته إنسان عاش حياة قاسية ، وقد غلبه الآن التعب والوحدة .

ثم يوضح بولس رجاءه فى آية ١٠ ، وهو رجاء خاص بانسيموس . ونلاحظ هنا كيف يتباطأ بولس فى الإفصاح عن اسم أنسيموس ، كما لو كان متردداً فى عمل ذلك . ولا يسوق بولس أية أعذار لأنسيموس ؛ بل يعترف بلا حرج بعدم منفعته وبضعة أخلاقه ؛ ولكنه يقدم عنه دفاعاً واحداً أنه صار نافعاً الآن .

والمسيحية ، كما اعتاد James Denney على القول ، هى القوة التى

Scanned with CamScanner

تجعل من الأردياء رجالا صالحين . ومن المهم أن نلاحظ قول بولس أن عديم المنفعة صار فى المسيح نافعاً . المسيحية ليست وهماً يخلق أناساً حالمين ليس فيهم كفاءة أو وضوح ؛ ولكنها تنتج أناساً لهم منفعة ، أناساً يفهمون الأمور ، أناساً يؤدون العمل أفضل من أى إنسان آخر لم يعرف المسيح بعد . قيل عن أحدهم إنه كان سماوى التفكير لدرجة انعدام فائدته للأرض . ولكن المسيحية الصادقة تجعل من الشخص سماوى التفكير ومفيداً فى حياته على الأرض فى نفس الوقت .

يطلق بولس على أنسيموس الطفل الذى ولدته فى قيودى ، هناك مثل يهودى يقول : « لو علم واحد الناموس لابن جاره ، يعتبر هذا مماثل لكونه إبناً له أنجبه » . إن أتى بانسان إلى الله ، ويقوده إلى يسوع المسيح ، هذا فى حد ذاته عمل عظيم كمن أتى به إلى العالم . سعيد هو ذلك الأب الذى ينجب للحياة الأرضية إبناً ، ثم يقوده إلى الحياة الأبدية ، فإنه بهذا يكون قد ولده مرتين .

— كما رأينا سابقاً فى المقدمة ، هناك معنيان للآية ١٢ . يقول بولس « الذى رددته » . ولكن الفعل فى الأصل لا يعنى فقط أن يرد ، بل يعنى أيضاً أن يحيل الموضوع إلى ، وهكذا يكون ما يقوله بولس لفليمون هو : « إنى أحيل موضوع أنسيموس إليك ، لكى تحكم فيه بما يتناسب مع المحبة التى فيك » . ولا بد أن أنسيموس قد صار عزيزاً جداً على بولس أثناء تلك الأشهر التى قضاها فى السجن ، لأن بولس يضفى عليه هذا الإعزاز العظيم بقوله إنه إذ يرسل أنسيموس كأنما يفترق عن قطعة من أحشائه .

ثم يأتى بعد ذلك الرجاء . كان بود بولس أن يحتفظ بأنسيموس ، ولكنه يرده إلى فليمون ، لأنه لن يفعل شيئاً دون موافقة فليمون . نلاحظ هنا أيضاً

Scanned with CamScanner

شيئاً هاماً . المسيحية ليست مستعدة أن تعين الإنسان على الهرب من ماضيه وإغفاله ، ولكنها مستعدة أن تمكنه من مواجهة ماضيه والارتقاء فوقه . لقد هرب أنسيموس ، لا يصح إذا السماح له بالتهرب من نتائج فعلته القبيحة . يجب أن يرجع ، وأن يواجه نتائج ما فعل ؛ وأن يتقبل هذه النتائج ؛ ثم يرتقى فوقها جميعاً . ليست المسيحية هروباً ، بل هى انتصار .

وإذ يعود أنسيموس ، يعود كشخص آخر . ترك عمله كعبد وثنى ، ويعود أخ فى المسيح . ولا بد أن الأمر صعب على فليمون أن يعتبر عبده الهارب أخاً ؛ ولكن هذا هو بالضبط ما طلبه بولس . « فإن كنت تحسبنى شريكاً فى عمل المسيح ، وأن أنسيموس هو ابنى فى الإيمان ، إقبله إذاً كما لو كنت تقبلنى أنا نفسى » .

نجد هنا مرة أخرى أمراً عظيم القيمة . يجب أن يرحب المسيحى بعودة من أخطأ . غالباً ما ننظر المخطئ الذى أخطأ سواء السبيل بعين الشك والارتياب ؛ وكثيراً جداً ما نظهر لهعدم استعدادنا أن نثق فيه ثانياً. نستطيع أن نصدق أن الله قادر على العفو عنه ، أما نحن ، فنجد من الصعوبة بل من الاستحالة أن نعفو عنه . قيل إن أعظم عامل مشجع فى يسوع المسيح أنه يثق فينا فى نفس المجالات التى فشلنا فيها . عندما يرتكب إنسان خطأ ما ، فإن طريق العودة يمكن أن يكون شاقاً للغاية ، ولن يغفر الله ببساطة للشخص الذى ، فى بره الذاتى ، أو فى جحود قلبه ، يجعل الأمر أكثر مشقة .

Scanned with CamScanner

الرجاء والبركة الختامية

١٨ ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ
فَٱحْسُبْ ذٰلِكَ عَلَيَّ . ١٩ أَنَا بُولُسَ كَتَبْتُ بِيَدِي .
أَنَا أُوفِي . حَتَّى لاَ أَقُولَ لَكَ إِنَّكَ مَدْيُونٌ لِي بِنَفْسِكَ أَيْضاً
٢٠ نَعَمْ أَيُّهَا ٱلْأَخُ لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي ٱلرَّبِّ . أَرِحْ
أَحْشَائِي فِي ٱلرَّبِّ . ٢١ إِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ كَتَبْتُ
إِلَيْكَ عَالِماً أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيْضاً أَكْثَرَ مِمَّا أَقُولُ .

٢٢ وَمَعَ هٰذَا أَعْدِدْ لِي أَيْضاً مَنْزِلاً لأَنِّي أَرْجُو أَنَّنِي
بِصَلَوَاتِكُمْ سَأُوهَبُ لَكُمْ . ٢٣ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبَفْرَاسُ
ٱلْمَأْسُورُ مَعِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ ٢٤ وَمَرْقُسُ وَأَرِسْتَرْخُسُ
وَدِيمَاسُ وَلُوقَا ٱلْعَامِلُونَ مَعِي . ٢٥ نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ . آمِينَ إِلَى فِلِيمُونَ كُتِبَتْ مِنْ
رُومِيَةَ عَلَى يَدِ أُنِسِيمُسَ ٱلْخَادِمِ .

فليمون ١٨ – ٢٥

إحدى قوانين الحياة المسيحية أن واحداً لا بد أن يدفع ثمن الخطية . الله قادر على المغفرة وهو يغفر ، ولكن حتى الله ذاته لا يستطيع أن يحرر إنساناً

Scanned with CamScanner

من نتائج عمله . فى هذا يظهر مجد المسيحية ، فكما أن يسوع المسيح تحمل خطايا جميع الناس ، هكذا يوجد أولئك الذين دفعتهم محبتهم أن يقدموا العون ويدفعوا ثمن نتائج الخطايا والأخطاء التى ارتكبها أحباؤهم . ولم تعط المسيحية مطلقاً للانسان حق الإخلال بتسديد ديونه . لا بد أن أنسيموس قد سرق فليمون ثم هرب منه . ولو لم يكن قد أخذ من مال فليمون ، لا يعقل كيف دبر أمر سفره هذه المسافة الطويلة إلى روما . ولكن بولس يكتب بيده ويقول إنه مسئول وأنه سيوفى الدين كله .

من الطريف ملاحظة ما يتضمنه هذا المكتوب اليدوى من اعتراف بالدين حسب ما درسناه فى كولوسى ٢ : ١٤ . هذا إيصال أو صك مكتوب بخط اليد يؤخذ ضد بولس ؛ وهو مسئولية تحملها بولس عن طيب خاطر ووقع عليها .

ونلاحظ أيضاً أن بولس كان قادراً ومستعداً أن يسدد ديون أنسيموس . فبين حين وآخر تبدو لنا لمحات تشير إلى أن بولس لم يكن بدون موارد مالية. احتفظ به فيلكس سجيناً لأنه كان يأمل فى الحصول على رشوة منه ليخلى سبيله ؛ ولا بد أن فيلكس كان يثق بأن بولس متيسر الحال لدرجة إمكانه دفع رشوة (أعمال ٢٤ : ٢٦) . كذلك كان بولس قادراً على استئجار بيت أثناء سجنه بروما (أعمال ٢٨ : ٣٠) . وربما كان الأمر ، أنه لولا أن بولس قد اختار حياة رسول للمسيح ، لكانت حياته مستقرة ناعمة تتيحه له موارده الخاصة . وربما كان هذا شيئاً آخر بين عديد الأشياء التى تركها بولس لأجل المسيح .

نستمع فى آية ٢٠ إلى بولس يتكلم بشىء من الفكاهة ويقول « فليمون ، أنت مدين لى بنفسك ، لأننى أنا الذى أتيت بك إلى المسيح . ألا تسمح لى

Scanned with CamScanner

ربح أناله منك الآن ؟ » وكأننا ببولس يبتسم بحنان قائلا « لقد أخذت الكثير منى يا فليمون – اسمح لى بأخذ شىء منك الآن ! » .

ونجد فى آية ٢١ مثالا لنوع التعامل الذى تعود عليه بولس مع الناس . فالقاعدة التى يتبعها بولس دائماً هو توقع أفضل ما يكون من الآخرين . وفى حقيقة الأمر ، لم يشك بولس مطلقاً فى أن فليمون سيستجيب إلى كل طلباته . ولكنها قاعدة طيبة ؛ أن تتوقع الأفضل من الآخرين هو أنك غالباً قد قطعت أكثر من نصف المرحلة للحصول على الأفضل . لو أوضحنا أننا نتوقع القليل ، سنحصل على القليل . ولكننا إذا وضعنا إنسان إزاء شرفه بأن نظهر له كم نتوقع منه ، استيقظ فيه نداء الفروسية وتحركت الشهامة فى قلبه ، وحصلنا على الكثير من ذلك الذى توقعنا الحصول على الكثير منه .

فى آية ٢٢ يتكلم بولس بتفاؤل . كان يؤمن أنه حتى وهو فى السجن ، يمكن لصلوات أصدقائه أن تخرجه حراً . لقد غير خططه الآن . قبل اعتقاله ، كانت نيته الذهاب إلى أسبانيا (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . وربما بعد سنوات فى السجن ، سنتين فى قيصرية ، وسنتان طويلتان فى روما ، شعر بولس أنه يجب أن يتخلى عن هذه الأماكن البعيدة ونهاية العالم إلى من هم أصغر منه سناً ، وأن الأفضل لمن كان مثله قد قارب النهاية ، أن يعود إلى أصدقائه القدامى .

فى آية ٢٣ ، توجد قائمة تحيات من نفس الزملاء الذين قابلناهم فى كولوسى ، فى أجزائها الختامية ، وهناك ذكرنا كل ما نعرفه عنهم .

وأخيراً تأتى البركة ، وتطلب نعمة المسيح على كل من فليمون وأنسيموس على حد سواء .

Scanned with CamScanner